

عوامل فشل السياسة اللغوية في الجزائر وموقع اللغة العربية منها

The failure's elements of the Algerian linguistic policy and the Arabic whereabouts in it.

عبد العزيز جاهمي

جامعة 8 ماي 1945، قالمة، مخبر (SOPHILAB، 24000، الجزائر،

djahmi.abdelaziz@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2025/04/03

تاريخ القبول 27 / 03 / 2024

تاريخ الاستلام: 2024/01/18

ملخص

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على الواقع اللغوي الجزائري المعقد، وفشل السياسة اللغوية المعتمدة من قبل السلطات في ذلك، والذي ساهمت وتفاعلت فيه مجموعة من العوامل؛ وما يرتبط بها من سجل فكري وسياسي وإيديولوجي في مجتمع يبحث له عن تجانس وانصهار بين مختلف مكوناته السياسية والإثنية والعقائدية، بكيفية تؤمن له وحدته وتطوره. وذلك من منظور نقدي لهذا الواقع الذي كشف في السنوات الأخيرة عن استقطاب وجدل حادين يضمران اختلاف وتناقض في التوجهات والاستراتيجيات الثقافية التي مازالت تن تحت وقع السيادة الفعلية للغة الفرنسية على الفضاء الرسمي، والانفصام اللهجي الذي تأسس في البناء الفكري والأدبي لبعض الأقليات، وأحكم منطقه على السياسة اللغوية في البلد، وأنتج من خلال ذلك صورا وأشكالا لغوية محلية منعزلة ترفض اللغة العربية الفصحى وتتعصب للهجاتها. وذلك في غياب سياسة لغوية ناجعة تستمد مقوماتها من الراهن الثقافي للبلد، ومآلات المسار الفكري والعلمي للمجتمعات المتقدمة في هذا المجال.

كلمات مفتاحية: اللغة الأم؛ اللغة الرسمية؛ اللغة العالمية؛ العائلة اللغوية؛ اللهجة.

Abstract

The present study aims to highlight the complex Algerian linguistic reality, and the failure of the linguistic policies adopted by the authorities since the country's independence. Various elements have contributed to this confusion and interacted with it. This resulted in great difficulties in terms of starting intellectual and political debates in a society seeking homogeneity between its different ethnic and ideological components with the goal of ensuring its harmony and development. This situation has, in the recent years, revealed and indeed attracted great polemics stirred out by various divergences and contradictions related to both the orientations and the cultural strategies applied in order to overcome the impact of the effective domination of the French language on the official space. This resulted in the emergence of a dialectical

schizophrenia that has greatly influenced both the intellectual and literary development within certain minorities. Furthermore, it led to a negative view of the policy carried out, producing isolated local linguistic forms that reject the classical Arabic language and evolve towards a sort of extremism for its dialects. This is mainly the result of the absence of an effective linguistic policy that should gather its ingredients from the cultural current of the country along with the development of its intellectual and scientific communities in this particular field

Keywords: mother langue; official langue; international langue; linguistic family; lect.

مقدمة.

إن المتمعن في واقع المجتمعات العربية عموما، على اختلاف نظمها وأنساقها، لا تستوقفه المشكلات السياسية والاقتصادية وحسب، بل يتعداه ذلك إلى اضطرابات أكثر حدة ووقعا عليها، وهي الاضطرابات الثقافية بمختلف أبعادها ومضامينها؛ والتي يشكل البعد اللغوي فيها الأساس. فاللغة ليست مجرد أصوات أو رموز تتداول، بل هي ظاهرة اجتماعية بكل ما يدل عليه المصطلح ويعنيه، فهي وسيلة اتصال وتواصل الأفراد وتفاعلهم، وعنوانا لمسار المجتمعات الفكرية والعلمية، والمعبرة عن ذاتها وكيونيتها في الزمان والمكان؛ وأحد المحددات أو المعايير الأساسية للحكم عليها في السلم الحضاري الإنساني سواء تطورا أو تحلّفا. لهذا أصبح البحث في هذا المجال يحظى بأهمية بالغة، متجاوزا في ذلك الترف الفكري ذو المنحى الأدبي والإيديولوجي الذي دأب عليه المهتمون في تناولهم للموضوع. وأضحت المسألة اللغوية إحدى المسائل التي تطفئ على ساحة النقاش والسجال الفكري والسياسي والاجتماعي للمجتمعات خاصة المنهكة ثقافيا كمجتمعنا، نتيجة لعوامل تاريخية واجتماعية وإثنية (ethnic) خاصة. وتعرف الساحة السياسية والثقافية والفكرية الجزائرية كحال عديد الدول العربية مشرقا ومغربا نقاشات ساخنة وحادة بشأن الوضع اللغوي في البلد، وما يشهده من فوضى بفعل التذبذب الثقافي الذي كرسه المستعمر الغربي لضمان سيادة لغته، وتفاعلت معه عناصر إثنية وسياسية واجتماعية وثقافية أخرى. لقد عرفت الجزائر عبر مسيرتها التاريخية عبور عديد الأجناس البشرية والحضارات (فينيقيين، وندال، رومان، بيزنطيين، عرب، إسبان، أتراك، فرنسيين)، وتميز هذا العبور بالتصارع الحاد مع السكان الأصليين (الأمازيغ) انتهى بدحرها وإخراجها؛ ولم يحدث التعايش إلا مع العرب المسلمين الذين اندمجوا معهم في سياق ثقافي لم تعرفه بقية الثقافات الوافدة؛ تشكلت بمقتضاه هوية لغوية مركبة ومنسجمة؛ كان للغة العربية الحظ الأوفر فيه بفعل القرآن الكريم الذي نزل بها، والهجرات المتتالية للعرب لهذه المنطقة خاصة من الهلاليين، والمكانة التي تمتع بها الأمازيغ في الدولة الإسلامية سواء في الجيش أو الإدارة، أو منابر الفكر والعلم، وبالتالي أقبلوا طوعا على هذه اللغة، لدرجة أنست الأغلبية لغة أجدادهم. وبدخول الاستعمار

الاستيطاني الفرنسي وهو اشد أنواع الاستعمار فتكا بثقافات الشعوب التي احتلها؛ عمد إلى تهميش واستبعاد اللغة العربية واعتبارها لغة أجنبية، وتشجيع اللهجات المحلية المنتشرة عبر الوطن على مضايقتها على مستوى التداول، مقابل التمكين للغة الفرنسية في جميع المجالات، خاصة التعليم والتعاملات الإدارية الرسمية، واستمرت ارتدادات هذا الوضع بشكل أو بآخر حتى بعد الاستقلال وتبني البلد للغة العربية كلغة رسمية. وفي ظل هذا المعطى سنجاول تسليط الضوء على الواقع اللغوي الجزائري المعقد، وفشل السياسة اللغوية التي اعتمدتها السلطات في هذا المجال، وما يرتبط بها من سجال في مجتمع يبحث له عن تجانس وانصهار بين مختلف مكوناته السياسية والإثنية والعقائدية، بكيفية تؤمن له وحدته وتطوره. وذلك من منظور نقدي لهذا الواقع؛ الذي كشف في السنوات الأخيرة عن تحاذب واستقطاب كبيرين وجدل وتدافع حادين، يضمران اختلاف وتناقض في التوجهات والاستراتيجيات الثقافية، التي مازالت تئن تحت وقع السيادة الفعلية للغة المستعمر على الفضاء الرسمي، والانفصام اللهجي الذي تأسس في البناء الفكري والأدبي لبعض الأقليات في المجتمع الجزائري، وأحكم منطقته هو الآخر على السياسة اللغوية للبلد، وأنتج من خلال ذلك صورا وأشكالا لغوية محلية منعزلة، ترفض اللغة العربية الفصحى وتتعصب للهجاتها

المبحث الأول: في ماهية اللغة وأبعادها

لقد تعددت التفسيرات المحددة لماهية اللغة (langue)، وما يرتبط بها من أبعاد سوسيو انثروبولوجية، بتعدد المجالات المعرفية والتخصصات العلمية ذات العلاقة، وتوزعت آراؤهم بين عديد الاتجاهات. فاللغة هي نسق من الرموز والإشارات التي يستخدمها الإنسان بهدف التواصل (communication) مع بني جنسه، والتعبير عن مشاعره، وإكساب معارفه، والتفاهم مع الناس داخل المجتمع.¹ وصورة السلوك الإنساني الشاملة التي تنطوي على الاتصال الرمزي من خلال نسق النماذج الصوتية المتفق عليها ثقافيا والذي يحمل معان مقننة؛ وتتألف من أصوات مركبة ذات مقاطع تتألف من كلمات وجمل ذات دلالة، يعبر بها الإنسان تعبيرا مقصودا عما يجول بخاطره من معان...² وهو تعبير ينبع من حضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها ونظرتها لشؤونها الحياتية.³

فاللغة إذا وبكل المعاني هي مفهوم منظومي (concept systemic) يشمل مجموع الأصوات والرموز والإشارات، وقديما قيل هي الألفاظ التي يعبر بها الناس عن مشاعرهم وحاجاتهم وأفكارهم. كما أنها نظام من القيم على حد تعبير (دي سوسير)، مما يعني أن أي شعب يستعمل اللغة على اختلاف أنساقها الفكرية الدلالية والجمالية والفنية، وسواء كانت منطوقة أو مكتوبة، أم كانت إشارة أم رمزا، أم رسما أم نحتا؛ ليعبر بها عما يؤمن به ويشعر ويعتقد ويفكر... ووسيلة لبلوغ الأهداف.⁴ وتنطوي التعريفات المختلفة للغة على عدة أبعاد تؤكد في جوهرها حقيقة أن اللغات تختلف فيما بينها، سواء من حيث القواعد البنائية أو من حيث أنظمتها اللغوية؛ وإن كانت جهود الفلاسفة والمناطق منذ القدم تهدف إلى بناء قواعد عامة (grammar universal)، وتكمن أهم هذه الأبعاد في:

أ - البعد الصوري (fomal dimension)، ويقصد به البناء التركيبي الذي تقوم عليه الأبنية اللغوية المختلفة، سواء ما اختص منها باللفظ أو العبارة أو الجملة أو القضية. ولكل لغة مجموعة قواعد يتم بموجبها تركيب الصيغ اللغوية المختلفة.

ب - البعد الدلالي (sementical dimension): وهو البعد الذي يركز على المعنى؛ ويقصد به ما تشير به الألفاظ والعبارات والجمل والقضايا من دلالات، وما تعبر عنه من معان هي في حقيقة الأمر الأفكار والتصورات والأحكام،

¹ . فوز الراشد العبد الحق، عبد الرحمن حسني أحمد أبو ملح: التصورات الشعبية والوعي اللغوي نحو العربية، السعودية، منشورات مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، 2017، ص: 249

² . مصلاح الصالح: شامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي عربي)، دار عالم الكتب، ط1، الرياض، 1999، ص: 304

³ . علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، الرياض، 1983، ص: 6

⁴ حسين جمعة: في جماليات الكلمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص: 18

فالألفاظ تعبر عن أفكار ذهنية أو تصورات، كما تشير إلى أشياء في العالم المادي. وتعبر العبارات والجمل والقضايا عن أفكار وأحكام، كما تشير إلى أشياء أو وقائع في العالم الخارجي.

ج - البعد الشعوري (feeling dimension) ويمكن تسميته كذلك بالبعد القومي على أساس أن اللغة تحمل أحاسيس وعواطف مشتركة بين أفراد الأمة، يدركها المرء من خلال مشاركته في استعمال اللغة؛ وبعبارة أخرى أن هذا البعد يمثل الناحية الوجدانية النفسية التي تعبر عنها روح الأمة.¹

فاللغة باعتبارها مفهوم عام تندرج تحته عدة مفاهيم ومصطلحات، ولكل منها ما يميزها، غير أنها تنحو في الغالب نحو اللغة الفصحى، ويندرج تحتها المفاهيم الفرعية التالية:

❖ اللغة الأم (mother language): وهي اللغة التي يكتسبها الفرد في مراحل عمره الأولى، والتي تصبح تلقائياً وسيلته الطبيعية في التفكير والاتصال. وهي اللغة التي تدعو (اليونيسكو) إلى استخدامها إلى مرحلة متأخرة من التعليم.² اللغة الرسمية (official language)، ويشار لها أحيانا باللغة العليا (méta langue) وهي اللغة التي تستخدم في السياسة والقانون والتواصل الإداري في أقاليم سياسية معينة. ووضعها مضمونا دستوريا.

❖ اللغة العالمية (international language) أو اللغة الكونية (global language): ويطلق هذين الاصطلاحين على اللغة المستخدمة على نطاق عالمي واسع يتعدى حدود الدول الناطقة بها أصلا. حيث يتم استخدامها كلغة مشتركة (lingua franca)، للتفاهم بين الناطقين أصلا بلغات أخرى، وينطبقان على اللغة الإنجليزية حاليا، لأنها تحتل مكانا مرموقا بين لغات العالم.

❖ العائلة اللغوية (linguistic family): وهي مجموعة من اللغات التي ظهرت كنتيجة للاختلاف اللغوي بين سلف واحد، مثل اللغات التي انبثقت عن اللاتينية ونظيرتها الفينيقية.

اللهجة (lect): وهي كلمة إغريقية، وتعني تكلم، وتستخدم من قبل اللغويين لتمييز وتصنيف التنوع اللغوي مثل: اللهجات المرتبطة بالتنوع الاجتماعي أو الإقليمي (dialect) وتلك المتعلقة باللهجات المتعلقة بالتنوع العرقي أو الثقافي (ethn-lect)، وما تعلق منها بالجنس البشري، أي لهجة المرأة أو الرجل (geno-lect)، وهناك لهجات اجتماعية (socio-lect)، ولهجات إيديولوجية (idio-lect)، ولهجة الجنس (sex-lect) كللهجة الشواذ أو المثليين. وهناك تعبير فرنسي يشير إلى اللهجة العامية (patois)، بمعنى غير الرسمية (non standard)... ويشير لها مرات أخرى باللغة العامية (slang)، ومرات أخرى باللغة المحلية (local langue)، وثالثة باللغة الأولى (language first). وتعني مجموعة من المفردات أو العبارات المستخدمة من قبل فئة اجتماعية محددة في البيت أو المجتمع، وتستخدم للحفاظ على التماسك بين متكلميها، وتزيد المسافة بينهم وبين الغرباء؛ أو لغة اصطلاحية لجماعة ما (jargon)؛ وهي لغة بدائية

¹ . ياسين خليل: اللغة والوجود القومي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع: 59، جانفي، 1984، ص: 52 - 54

² . رالف فاسولد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة إبراهيم بن صالح بن محمد الفلاي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2000، ص: 59

هجين (pidgin) ليس لها نظام قواعد ثابت، ولها عدد قليل من المفردات بسبب استخدامها المحدود، وتقيّد استخدامها في بعض المجالات. وتتعارض هذه اللغة الهجين (jargon) مع اللغة الهجين المستقرة (stable pidgin)، حيث يمكن لهذه اللغة البدائية أن تتطور لتصبح مثلها مثل المستقرة إذا تغيرت ظروف التواصل بهذه اللغة.¹ أما عن وظيفة اللغة فتتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، وفي التعرف والنداء؛ وإن كان بعض الباحثين يرون أن وظيفة التعبير ما هي إلا ضرب من ضروب التواصل. واللغة والفكر هما وجهان لعملة واحدة، بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر؛ حيث يقول (طه حسين) في هذا الصدد: "نحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة، وعواطفنا المتباينة وميولاتنا المتناقضة حين نفكر... فنحن نفكر باللغة، ولا نغلو إذا قلنا أنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعي فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور"... لقد أشار (ماكس مورو) إلى أنه باللغة وبها وحدها يندمج الفرد بالمجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله. والتراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السابقين منهم والمعاصرين. وعبر الفيلسوف الألماني (هيدغر) أيما تعبير عن أهمية اللغة عندما قال: "إن لغتي هي مسكني وموطني ومستقري... هي حدود عالمي الحميم ومعامله وتضاريسه ومن نوافذها ومن خلال عيونها انظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح"، ويضيف: "حيث توجد اللغة يوجد العالم، وحيث توجد اللغة يوجد التاريخ". وهو ما يذهب إليه (ستالين) حيث يرى أن اللغة هي إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته، فهي تبقى ببقائه وتنزل بزواله، وليس ثمة إمكان وجود أي لغة في نطاق خارج المجتمع.² لأنها كما تقول (أحلام خليل محمد خليل) هي التي تعكس في ألفاظها وتراكيبها وتشبيهاتها ومعانيها خصائص الأمم ومقوماتها وتراثها.³ فهي ظاهرة اجتماعية، بل أوضح الظواهر الاجتماعية جميعها كما يقول (كلود لوفيس ستروس)؛ باعتبارها جزء من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت؛⁴ ونتاج اجتماعي ضروري لوجود المجتمع؛ يمثل التجارب المتراكمة والراهنة، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة، بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات والآخرين؛ وجزء من التراث الثقافي ومعبرة عنه في نفس الوقت؛ تتحول بمقتضاه الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل لآخر.⁵ وما من حضارة تخلو من نخضة لغوية، وما من صراع بشري إلا ويبطن في جوفه صراعا لغويا، حتى قيل أنه

¹ . رالف فاسولد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، مرجع سابق، ص: 59

² . محمود السيد: التمكين للغة العربية، آفاق وحلول، مجلة بناء الأجيال، عدد خاص عن اللغة العربية (لسان الضاد يجمعنا)، نقابة المعلمين السورية، دمشق، 2008، ص: 31، 32

³ . أحلام خليل محمد خليل: محاضرات في التعريب، مجلة جامعة تكريت، العراق، مج: 19، ع: 9، أيلول 2012، ص: 226

⁴ . كلود لوفيس ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص: 90

⁵ . نخبة من أساتذة قسم الاجتماع: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 266

يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من الصراعات اللغوية. وغالبا ما تصبح الحدود اللغوية على بقعة جغرافية معينة هي الحدود السياسية للأمم، وكثيرا ما تنشب الحروب بين مجموعات بشرية أو أمم بسبب محاولات تبذلها أمة معينة لضم مجموعة لغوية تشترك مع الأمة بروابط لغوية. وغالبا ما يتعاطف الأفراد الذين تضمهم أمة لا ينتسبون إليها لغويا مع أمة أخرى تربطهم بها روابط لغوية. وقد تسعى جماعات متباعدة لغويا في دولة واحدة إلى الانفصال بقصد بناء دولة مستقلة، أو إقامة حكم ذاتي في ظل الدولة الواحدة.¹؛ فاللغات يسقط أكثرها ويظل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليها، فإنما يقيد لغة الأمة قوة دولتها، وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم، واستغلوا بالحاجة والخوف والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم. وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل والضرورة... وهي الحقائق التي دونها (ابن حزم الأندلسي) عام 456 هجرية، واستأنفها (ابن خلدون) في سنة 808 هجرية باستضافة باهرة وب عقلانية أخرجت وتخرج كل العرب من المثقفين وصناع الأفكار.² وبالتالي فاللغة هي صلب الكيان السياسي والاجتماعي والثقافي الحضاري لأي أمة من الأمم.

المبحث الثاني: في ماهية اللغة العربية وخصائصها

واهم من يعتقد أن اللغة العربية هي انتماء خاص بالعرق العربي باعتبار لأن أصلها يعود لأقوام عربية، بل هي لسان أهل السماء البين الواضح كما جاء في عدة مواضع من محكم تنزيله كقوله تعالى: "إن أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (سورة يوسف: الآية 2)؛ وإحدى الملكات اللغوية التي تزخر بها المعاجم والتفاسير، ويقول بها اللغويون المحدثون وعلى رأسهم (نعوم تشومسكي)؛ وشاركت أقوام كثيرة من غير العرب في تطويرها وترقيتها. وقد بين الرسول الكريم (محمد رسول الله) ذلك عندما ناشد قومه قبل أن يكتب للإسلام الانتشار في بقاع الأرض بالقول: "أيها الناس، إن الرب واحد، والأب واحد، والعربية ليست بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي".³ فاللغة العربية لغة عريقة، بلغ صداها ومداها عديد الحضارات التي شكلت حضارة الإسلام، بما تدل عليه هذه الحضارة العظيمة وتتضمنه وتعنيه. لقد كانت في البداية لهجة أهل مكة التي استوعبت لهجات القبائل المختلفة المتناثرة في فياقي العرب حتى تلك البائدة منها (عاد وثمود...). كما استوعبت معظم أخواتها الساميات بعد أن أكرمها الله بالوحي السماوي، واتسعت رقعتها الجغرافية حتى امتدت لتشمل عديد الحضارات والثقافات، بدءا من شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، فمصر وشمال إفريقيا، وصقلية ومالطا والأندلس... كما ساهمت في إثراء

¹ . ياسين خليل: اللغة والوجود القومي، مجلة المستقبل العربي، مرجع سابق، ص: 52

² . عبد السلام المسدي: من أسرار السياسة واللغة، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويتية، ع: 56، جمادى الأولى، 2005، ص: 99

³ . أحمد سعيد هوش: اللغة العربية الفصحى، بين رواها وأنصارها وأعدائها، مجلة بناء الأجيال، مرجع سابق، ص: 289

عديد اللغات كالتركية والفارسية والأردية وغيرها من اللغات.¹ ويعود تمدد اللغة العربية وانتشارها الواسع في العالم إلى أمرين أساسيين: أولهما انتشار الإسلام كدين وعقيدة، وما يرتبط بهما من ثقافة إسلامية، وثانيهما هجرة وانتشار القبائل العربية واستقرارها في عديد البلدان والأمصار خاصة شمال إفريقيا. ولهذا يوجد في المغرب العربي قبائل سكنت شمال إفريقيا قبل مجيء الإسلام بفعل الهجرات الفينيقية والهلالية، وقبائل جاءت مع الفتوحات الإسلامية وأخرى نزحت بعد سقوط الأندلس... الخ. فاللغة العربية هي أم اللغات وأغناها بالمفردات واقدرها على التوليد والاشتقاق وأحلاها جرساً وأجلاها بيانا وأقربها إلى الأصل والطبيعة... وهي اللغة المقدسة الشريفة التي تقرأ بها آيات الله البينات (القرآن الكريم)، ولغة العبادات والصلوات... وهي المخزون الثقافي والسياسي والحضاري الرصين والخيوط الذي يجمع شمل الأمة من محيطها إلى خليجها.² لقد أبدع العرب والمسلمون في إيجاد مفصلاً صوتياً مركباً من مظاهر البحث الصوتي، غاية في الدقة والتعقيد، لم يستند إلى أجهزة متطورة، بل ابتكرته عقول علمية نيرة وأذهان صافية تجردت للحقيقة وتمحصت للبحث العلمي مخلصه فيه النية. وكانت الخطوط العريضة لهذا العطاء على وجه الإجمال مفردات هائلة ونظريات متراسة، عبدها العرب وواكبها الغربيون.³ ومن هنا نقول أن اللغة العربية تتميز بخصائص عامة، منها أنها ثابتة الأركان، مستقرة الدعائم، واسعة الانتشار، واضحة المخارج، منسجمة، تعتمد على قواعد ونظم تسمح لها بالتطور وفقاً لأصول محددة. ومن هنا صمدت هذه اللغة أمام أخطر التحديات، وكانت عاملاً إنقاذاً للأمة العربية إبان الحملات الاستعمارية المتكررة للعالم العربي. كما حافظت على ذاتيتها وخصائصها منذ القديم ولم تخضع لأي تعديل. وقد وصفها عالم الاجتماع الفرنسي (ارنيس روناو) قائلاً: "لم تخضع اللغة العربية إلى تعديل هام... لا تعرف لها طفولة ولا شيخوخة، ولم تكن إلا شابة، واستمرت حتى استأثرت بكل المديح لها، ولا أعلم إن كان باستطاعتنا إيجاد مثال آخر لها في هذا العالم."⁴ لقد نجح علماء العربية القدامى مثل: الرازي والخوارزمي وابن سينا وغيرهم في صياغة مصطلحات العلوم والفنون بالعربية، وإن اختلفت ينابيعها من هندية وسريانية، ويونانية وفارسية. وما زالت قادرة على التوسع والاغتناء علمياً. لقد كان الفيلسوف والعالم الانجليزي (بيكون) في القرن الثالث عشر الميلادي، يتعجب في من يريد البحث في العلم والفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية... ويعترف بأن كتابات (أرسطو) لم تفهم ولم تلق رواجاً في الغرب إلى أن أوضحها كتابات الكندي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. كما باتت اللغة العربية مستودع العلم الكلاسيكي من سمرقند إلى غرناطة من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر.⁵ فاللغة

¹ . نذير العظمة: خريطة اللغة، مجلة بناء الأجيال، مرجع سابق، ص: 218

² . ماجد أبو ماضي: اللغة العربية والتحديات في مواجهة الصهيونية، مجلة بناء الأجيال، مرجع سابق، ص: 146

³ . ميسون جهاد إدريس: التصنيفات القديمة والمعاصرة للأصوات اللغوية، مجلة التعريب، دمشق، سوريا، ع: 47، ديسمبر 2014، ص: 12

⁴ . محمد حسين هيجل: اللغة العربية بين دورها التاريخي وتكريمها الديني، مجلة بناء الأجيال، مرجع سابق، ص: 298، 299

⁵ . مصطفى عطية جمعة: اللغة العربية وإشكالات الهوية، مجلة الوعي الإسلامي، ع: 639، يوليو 2018، ص: 61، 62

العربية لغة عالمية بامتياز، حيث تم الاعتراف بها من طرف الأمم المتحدة في جمعيتها العامة رقم 2206 كلغة رسمية واعتمدتها في موثيقها الخاصة كلغة عمل في جمعيتها العامة والهيئات التابعة لها، إلى جانب اللغات الخمس الأخرى (الانجليزية والفرنسية، الروسية، الإسبانية، الصينية)، وذلك بموجب قرار الجمعية العامة رقم: [3190\(د-28\)](#) المؤرخ 18 في كانون الأول (ديسمبر)، 1973، وهو اليوم الذي اتخذ يوما عالميا للغة العربية من قبل اليونسكو (unesco).¹ وتحتل اللغة العربية المرتبة الخامسة بين لغات العالم من حيث عدد الناطقين بها. فهي لغة رسمية لـ 22 دولة عربية، ويتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأحواز وتركيا وتشاد ومالي السنغال وإريتريا... الخ. واللغة العربية باعتبارها (لغة القرآن) هي لغة مقدسة لدى أكثر من مليار مسلم، ولا تتم الصلاة والعبادات الأخرى في الإسلام إلا بإتقان بعض من مفرداتها. وهي أيضا لغة شعائرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في الوطن العربي، كما كتبت بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى. ولا يزال تأثيرها على اللغات الأخرى باديا، إذ لا توجد لغة في العالم إلا وبها كلمات من اللغة العربية. فعلى سبيل المثال: تتضمن اللغة الفارسية حوالي 60 % من الكلمات العربية؛ وأن أكثر من 30% من اللغة الماليزية والاندونيسية هي في الأصل كلمات عربية، وفي الإسبانية يوجد نحو خمس آلاف مفردة، وثلاث آلاف في الانجليزية... وكذلك في اللغات: التركية، والهندية والأوردية... وحتى الأوكرانية.²

وبالرغم من الإقصاء والتهميش الذي عرفته اللغة العربية إبان استعمار الغرب لجل الدول العربية، والعراقيل والانتكاسات التي عرفتها مشاريع التعريب؛ إلا أنها مازالت تحتفظ بمكانتها في مختلف الدول العربية، وفي عديد المجالات العلمية والأدبية. ومازالت الجهود متواصلة من أجل ضمان مساهمتها للتطورات المتسارعة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ومتطلبات مجتمع المعرفة. والمحتوى الرقمي بهذه اللغة في الفضاءات السبرانية لا يقل أهمية عن غيره في اللغات الأخرى. لقد قدرت إحدى الدراسات أن حجم المحتوى الرقمي العالمي لسنة 2011 بنحو 47 مليار صفحة، منها 165 صفحة بالعربية أي بنسبة 3% من المحتوى الرقمي العالمي، في حين كان سنة 2007 لا يتجاوز 1%. ويشهد هذا المحتوى زيادة مطردة، أسرع من نسبة زيادة المحتوى العالمي، إذ تضاعف المحتوى

¹ - اليونسكو تحتفل باليوم العالمي للغة العربية

<https://undocs.org/ar/A/RES/3190...> CONS.LE: 17/05/2020

² . ربما سعد الجرف: دور الجامعات في عملية التعريب، ندوة اللغات في عصر العولمة، رؤية مستقبلية، منشورات جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية، 2005، ص: 4

العربي في عشر سنوات نحو 200 مرة... ونسبة المحتوى العربي في المكتبة الرقمية العربية يقدر بثماني بالمائة من إجمالي مجموع المكتبات الرقمية العالمية.¹

المبحث الثالث: النماذج المعتمدة دوليا للسياسة اللغوية

إن استقرار السياسات المعتمدة من قبل الدول في تنظيمها للشأن اللغوي، يمكن التمييز بين عديد الأنواع التي تتباين بتباين الأنساق الثقافية والسياسية والاجتماعية والفكرية للأمم والشعوب. واستنادا إلى تصنيف(علي القاسمي)² يمكن إجمالها أهمها في أربع أنماط أساسية من السياسات اللغوية وهي:

المطلب الأول: سياسة الإدماج اللغوي

وهو النموذج الذي تأخذ به بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا... التي تأخذ بلغة الأغلبية كلغة رسمية. كما تعتمد بعض الدول كالدول الإفريقية وبعض الدول الآسيوية وغيرها، التي ترى في لغاتها لغات ميتة، أو تعددية لهجية لا ترقى لأن تكون لغة يعتمد عليها في التواصل والتنمية؛ والتالي اعتمدت إحدى اللغات العالمية وخاصة الانجليزية والفرنسية. وتنطلق السياسة اللغوية في هذا النموذج من الفلسفة التي تقول بواجب كل فرد في المجتمع استخدام اللغة السائدة في المجتمع الذي يحي فيه، بصرف النظر عن لغته الأم أو لغة الأقلية التي ينتمي إليها. وبذلك يتساوى جميع المواطنين في القدرة اللغوية أو التواصلية، مما يحقق العدالة الاجتماعية. كما أن الصناعة بحاجة إلى لغة مشتركة تساعد على انتقال المعلومات بسرعة ويسر قصد تحقيق التنمية الاقتصادية الناجحة.

المطلب الثاني: سياسة التعدد اللغوي

وينطلق هذا الصنف من الفكرة التي تقول بضرورة تأمين الحقوق اللغوية لجميع المواطنين مهما تعددت أعراقهم وأنسابهم وتباينت ألسنتهم والاستفادة من الثراء الثقافي التي يتوفر عليه المجتمع. ويدعو هذا الصنف إلى اعتماد خارطة لغوية تتحقق بمقتضاها المساواة في توظيف وتنمية وترقية اللغات الوطنية. ومثال ذلك تعايش اللغات الألمانية والفرنسية والإيطالية والرومانشية في الاتحاد السويسري، والبلجيكي، والماليزي، والكندي... وتعد هذه اللغات لغات رسمية في البلاد ويتعلمها الأطفال في المدارس، وهو النموذج الذي شرع في تبنيه في بلادنا مع مطلع هذا القرن.

¹. ممدوح محمد خسارة: الاستثمار في اللغة العربية، ميادينه وعوائده، مجلة التعريب، ع: 51، ديسمبر، 2016، ص: 63.

². علي القاسمي: السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ع: 48، دمشق، سوريا، يونيو 2005، ص: 13، 14.

المطلب الثالث: سياسة الإحياء اللغوي

وهو النوع الذي اعتمدته بعض المجتمعات كشكل من أشكال انتفاضة الأنا الثقافية المثقلة بالهزائم الثقافية والحضارية بفعل عوامل تاريخية خاصة، ومنها الاستعمار الثقافي الذي أتى على لغات عديد المجتمعات التي تعرضت له، وأبعدها عن الاستعمال والتوظيف في المجالات الحياتية المختلفة، وبالتالي أصبحت في عداد اللغات الميتة. لكن وبعد زوال الظروف التي جعلت من لغاتها قاصرة عن مسايرة التطورات في الميادين المختلفة، عملت على إحيائها وتنميتها وجعلتها اللغة الرسمية للبلاد، ومثال ذلك: اللغة العبرية في فلسطين، والكشوة في البيرو، ولغة الايو في نيجيريا... الخ.

المطلب الرابع: سياسة التدمير اللغوي

وهو النموذج الذي يسعى فيه صانعو السياسات الثقافية في بلد ما سواء عن قصد أو عن غير قصد، سرا أو علانية إلى تدمير اللغة الوطنية لتمكين لغة أخرى أو لغة أجنبية وجعلها اللغة الرسمية الفعلية للبلد. ومن أمثلة ذلك التدمير الممنهج للغة العربية الفصحى في البلدان العربية والتمكين للغة المستعمر القديم (الانجليزي والفرنسي والايطالي) غير المرحب بها اجتماعيا، باستخدام لغات هذا الأخير في التعليم على اختلاف مستوياته، والإعلام والإدارة والمؤسسات الاقتصادية والمالية. وبالتالي الهيمنة على جميع دواليب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بدعوى أن اكتساب العلوم ومسايرة التطورات في المجالات المختلفة لا يتم إلا بهذه اللغات.

المبحث الرابع: عناصر الفشل في السياسة اللغوية الجزائرية

لقد أثبتت السياسة اللغوية في الجزائر فشلها في إدارة الشأن اللغوي، حيث لم تستطع الحسم في مسألة اللغة التي يجب اعتمادها رسميا في البلاد. فبينما نجد أن كل المواثيق والتشريعات المعتمدة من قبل أجهزة ومؤسسات الدولة منذ الاستقلال تتبنى اللغة العربية كلغة رسمية. لكن في الواقع بقيت لغة المستعمر (الفرنسية) هي اللغة الرسمية الفعلية التي تدار بواسطتها مؤسسات الدولة، وتهيمن على القطاعات الحساسة فيها، بينما استأثرت اللغة العربية بالقطاعات الثانوية. وهو الوضع الذي جعل الخريطة اللغوية في البلد تتقاذفها عدة تيارات إيديولوجية وثقافية، ساهمت وتساهم في تلوين الفضاء الهوياتي، والترهل الثقافي للمجتمع الجزائري؛ وحولته من فضاء للتعايش والاندماج إلى فضاء للاستقطاب والصراع؛ توج باعتماد السلطات الرسمية للبلد للغة الأمازيغية كلغة وطنية أولا ورسمية ثانيا، دون اعتراف وتوافق اجتماعيين بهذا الشأن. ومازالت الجهود تبذل في سبيل تكريس هذا المعطى من

خلال اعتمادها ثانية كمادة صماء (غير قابلة للتعديل) في مسودة دستور 2016. ويعود ذلك إلى تعقد وتشابك عناصر المشهد اللغوي الجزائري، وتعدد الفاعلين فيه؛ والذي يمكن إيجاز أهم عناصره في الآتي:

المطلب الأول: الهيمنة شبه المطلقة للتيار الفرنكوفوني على القطاعات الإستراتيجية للدولة الجزائرية

وهو التيار الأكثر نفوذا في معادلة الصراع اللغوي في البلد (ماليا وسياسيا وعلميا)، حيث يستأثرون بأهم المسؤوليات في الإدارة والاقتصاد والتعليم الجامعي خاصة التقني منه... كما يهيمن على جمعيات وتنظيمات المجتمع المدني. ولهذا التيار امتداد تاريخي يعود إلى الحقبة الاستعمارية، أين تم تحريم وتجريم التعامل باللغة العربية من قبل الاستعمار الفرنسي باستخدام كل أدوات الترغيب والترهيب من خلال ماعرف بقوانين جول فيري (jules ferry) التي وصمها أحد مسؤولي الإدارة الاستعمارية الفرنسية بيليسيه دي رينو (bilissier de renaut) بالإبادة الثقافية (génocide culturelle)، ووصفها عبد القادر جغلل بأنها آلة حقيقية ضد اللغة العربية والإسلام. لقد عمد إلى غلق المدارس والمساجد والزوايا مقابل فتح المدارس لبعض أبناء الأهالي من العملاء والموالين لسلطته من أجل استيعابهم وخدمتهم. وعبر عن ذلك أحد منظري هذه الحقبة وهو لوروا بوليو (Leroy beaulieu) بالقول: "يقال بأن غزو أي إمبراطورية هو إخضاع العالم أو مساحة شاسعة منه للغتها وآدابها وأفكارها وقوانينها"... وهو ما ذهب إليه أيضا جورج هاردي (george hardy) بقوله: "التحويل الشعوب البدائية في مستعمراتنا لتصير أكثر إخلاصا لقضيتنا وفائدة لمؤسساتنا... فإن أضمن وسيلة لكل ذلك هو أخذ ابن البلد منذ طفولته، بحيث يواظب على مخالطتنا، ويتقمص عاداتنا الثقافية والأخلاقية خلال سنوات متتالية؛ وباختصار شديد علينا أن نفتح له المدارس التي يشكل فيها عقله بحسب إرادتنا".¹ لقد ترك الفرنسيون آثارا كارثية على الوضع الثقافي للجزائر عموما، من خلال إتلافهم للأرشيف الوطني التقليدي، وتشتيت الذاكرة وتهميش اللغة العربية، وخنق الإنتاج الثقافي الذي كان موجودا في المناطق الحضرية، وتدمير البنية التربوية بتجريم فتح المدارس العربية وكتاتيب تعليم القرآن دون ترخيص من السلطات الاستعمارية، ومنعها نهائيا سنة 1938 بموجب قرار وزير داخلية فرنسا شودان (chaudin)، وفرنسة الإدارة كليا سنة 1948... كما عمدت فرنسا إلى استقطاب النخب المثقفة ثقافة غربية والشخصيات المرموقة العميلة، المنبهة بمدنيتهما؛ وأغدقت عليها بالمناصب والامتيازات، وعملت على فرنسة أبنائهم بإدخالهم مدارس المعمرين... بالإضافة إلى إدماج أطفال بعض الفئات الخاصة (يتامي، مشردين، فقراء...) في ملاجئ خاصة لفرنستهم وتنصيرهم.

¹. شمامة خير الدين: إشكالية اللغة العربية في الجزائر بين مخلفات الاستعمار وضغط العولمة، مؤلف جماعي بعنوان: اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، يناير 2013، ص: 125-142.

كما جعلت من العاميات واللهجات البربرية المنتشرة في ربوع الوطن شوكة في خاصرة الكيان اللغوي العربي.¹ وكان من نتيجة هذه السياسة أن حلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في مختلف نواحي الحياة، فكانت لغة الحديث لدى قطاع عريض في المجتمع، ولغة العلم والآداب والمعرفة في المدارس والجامعات، وانحسرت اللغة العربية في دائرة ضيقة يتداولها الناس في المساجد والزوايا في الأحياء والأرياف والبوادي الفقيرة.² وكأي استعمار فان ما يعجز عن تحقيقه بالترغيب والترهيب والابتزاز المباشر، يلجأ إليه بطرق ناعمة تتمثل أساسا في توظيف المواليين والعملاء، ليقوموا مقامه في المحافظة على وجوده وتثبيت دعائمه في البلد الذي تخلى عنه مكرها. وهو ما قامت به فرنسا في البلدان التي احتلتها وعلى رأسها الجزائر التي ورثت إرثا استعماريًا ثقيلا، يتمثل في شيوع الأمية والجهل بين الأغلبية الساحقة من المواطنين، ونظام تعليمي هش موروث عن الحقبة الاستعمارية؛ إلى جانب التموقع المؤسسي الفعلي للغة الفرنسية في جميع مجالات الحياة، مما سمح بتكريس ازدواجية لغوية لا متوازنة استأثرت فيه الفرنسية بنصيب الأسد، حيث استحوذت على أهم القطاعات المفصلية في الدولة.

وتعزز ذلك مع بروز المشروع الفرنكفوني الذي يرى في التعريب تهديدا لوجوده وموقعه ومصالحه. وبالتالي فقد حرص أنصار هذا المشروع في الداخل والخارج على عرقلة كل مسعى في هذا الاتجاه سواء بطريقة معلنة أو ضمنية. وما من مبادرة مجهضة للتعريب الشامل إلا وورائها هذا الظهير، فهو وراء تغول اللغة الفرنسية على العربية والإقصاء والتهميش الممنهج لهذه الأخيرة في سوق العمل والنشاط... وما زالت الدوائر الفرنكوفونية تستقطب أبناء بعض الأقليات الإثنية، والمسؤولين والموالين لسياساتها واستراتيجياتها وتسهيل التحاقهم بجامعاتها ومعاهدها من أجل استخدامهم عند الحاجة بالوظائف المختلفة في الدوائر والمؤسسات الحكومية والخاصة في الجزائر لضمان بسط نفوذها وهيمنتها. وبالرغم من بداية أفول اللغة الفرنسية في جميع أنحاء العالم، وبروز الدعوات لفك الارتباط بها في عديد الدول الناطقة باللغة الفرنسية؛ والذي أكدته عدة تقارير كتقرير غرادول (gradol) حول مستقبل اللغات في النظام العالمي المرتقب، الذي أشار في تصنيفه إلى أن العالم سيعرف على الأرجح أكثر من قطب لغوي مع منتصف القرن الحالي. وذكر القطب الصيني والهندي والانجليزي والاسباني والعربي واستثنى من ذلك القطب الفرنسي.³

¹. منى طواهرية: اللغة والهوية الوطنية على محك الإرث الاستعماري، مجلة البدر، جامعة بشار، ع: 10، 2018، ص: 81، 80.

². ياسين خليل: اللغة والوجود القومي، مجلة المستقبل العربي، مرجع سابق، ص: 65.

³. عبد القادر الفاسي الفهري: لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد (نموذج تماسكي، تعددي، تنوعي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، الدوحة، قطر، يناير 2013، ص: 415.

المطلب الثاني: ظهور المطلب الأمازيغي

إن هذا المشروع الذي تبنته الحركة الأمازيغية، خاصة تلك التي تتخذ من منطقة القبائل الكبرى معقلا لها، وله امتداداته الخارجية وخاصة في فرنسا. هو تيار ينازع اللغة العربية شرعيتها التاريخية وعراقتها، وحيويتها ورمزيتها ودورها الحضاري والهوياتي للجزائريين؛ بفعل الامتداد التاريخي للأمازيغية مقارنة بالعربية. لقد تعددت الآراء بشأن هذا المعطى ولكل مبرراته؛ حيث يرى البعض أن هذا البعد الهوياتي مجرد وسواس فكري ووهما من أوهام الماضي، وهناك من يرى أنه مجرد غطاء يختفي تحته الانتهازيون وطلاب المناصب والمكاسب، ويستغلونه كل مرة ضد نظام ضعيف وفساد، يقبل الابتزاز ويحسن توظيفه للمحافظة على بقاءه، ورأي ثالث يرى فيه وجه من أوجه الانغلاق الذي تتبناه الأقليات خوفا من الإقصاء والتهميش من المشهد السياسي والثقافي، خصوصا في ظل توجه نظام ما بعد الاستقلال نحو التعريب، والالتفاف الإيديولوجي حوله كبعد لغوي للدولة الجزائرية، والذي جاء كرد فعل مباشر على السياسة اللغوية الاستعمارية. بالإضافة إلى الرأي القائل بأنه رد فعل لمناخ التخويف من التعريب والانطباع الذي تركه المدافعون عنه، من خلال روح الشعبوية والعواطف الثورية التي لازمت الشروع فيه، والتي كرست الاعتقاد بأن العملية(التعريب) سوف تقصي كل العناصر الثقافية غير العربية من المشهد الثقافي متعدد الهويات.

والحقيقة أن هذا التيار له امتداد تاريخي يعود إلى مساهمات بعض المستشرقين إبان الحقبة الاستعمارية، خاصة مع أعمال رونييه باصيه(renet basset)، الذي نشر أكثر من 25 عملا حول البربرية منذ 1883، وانتهى به ذلك إلى إنشاء كرسي للغة البربرية في كلية الآداب بجامعة الجزائر، وتولى تدريسها بنفسه ثم خلفه تلاميذه، وآخرون من بعده(هنري كابنة، الفريد بيل، جوزيف ديارمي...)، ممن ساهموا لاحقا في إنشاء كرسي البربرية في كلية اللغات الشرقية بباريس. وقد أخذ هذا المسعى بعدا استعماريًا فيما بعد؛ حيث حول المخبر الكولونيالي المسألة الثقافية في الجزائر إلى بؤرة اضطراب وصراع ثقافي، من خلال تكوين نخب جزائرية وتعهدها بكل أسباب الرعاية والظهور...ونقل عن أحد غلاة الفرنسيين وهو (أوليفي لوكور) صاحب مؤلف (الاستعمار والإبادة) ادعاؤه بوجود حقد دفين يفصل بين القبائل العربية والبربرية، وهو أمر ينبغي دعمه، والدفع لمزيد من التناحر بينهما والاستفادة منه.¹ وهو ما ذهب إليه جول ليورال(jules liorel) حيث يقول: "سيكون القبائل العنصر الاستعماري بامتياز الذي يجب علينا استخدامه لجعل الجزائر فرنسا حقيقية".

¹ . عبد الحفيظ شريف: موقع المسألة اللغوية في جهود جمعية العلماء المسلمين، مقارنة اجتماعية، يوم دراسي بالمجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018، ص: 189، 190.

(Les Kabyles seraient l'élément colonisateur par excellence que nous devrions employer pour faire de l'Algérie une véritable France).¹

ويؤكد ذلك (عمار ديب)م وهو أحد المجنسين في حزب الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي (nicolat sarkozy)، ومنظمة (هالد)، وهي مؤسسة فرنسية لمكافحة العنصرية وتحقيق العدالة، تأسست سنة 2004 وحلت في 2011 ؛ حيث يقول: " تعتبر منطقة القبائل لدى رجالات السياسة الفرنسيين مقاطعة من المقاطعات الفرنسية لما وراء البحر.² ويؤكد هذه الحقيقة رئيس الدولة القبائلية المزعومة في ابتزازه وتهديده للسلطات الفرنسية، الذي ملخصه: "أن فرنسا لو فقدت منطقة القبائل ستفقد الجزائر وإذا فقدت الجزائر ستفقد إفريقيا". ولعبت الأكاديمية البربرية والتجمع الأمازيغي اللذان أنشئا في فرنسا عامي (1966، 1967) على التوالي دورا كبيرا في بعث الأبجدية الأمازيغية اعتمادا على حروف التيفيناغ المستخدمة لدى الطوارق ولو صوريا. كما ساهم اللوبي الأمازيغي المتمركز خاصة في منطقة القبائل معية بعض الدوائر الفرنكوفونية وفلول اللائكيين والعلمانيين والشيوعيون المتغلغلة في مؤسسات الدولة ومراكز القرار فيها؛ وبدعم مطلق من السلطات الفرنسية، تم تأطير المطلب الأمازيغي في مختلف صوره وتحليلاته (الثورية أو السلمية) من خلال: أحداث الربيع الأمازيغي (1980)، انتفاضة العروش (2001)، إضراب المحفظة (1994)، (1995)... والتي توجت بإنشاء المحافظة السامية للأمازيغية سنة 1995، والاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة وطنية سنة 2002 ورسمية سنة 2016 دون إخضاعها للاستفتاء الشعبي في مسودة الدستور، واعتبار المادة التي تؤكد على رسميتها غير قابلة للتعديل (صماء)؛ وذلك في محاولة من النظام لسحب هذا المطلب من التوظيف السياسي لبعض التشكيلات السياسية والثقافية المطالبة بتعميمها. وهي كيانات لا تهدف في الحقيقة إلى إحياء اللغة الأمازيغية رغم مشروعيتها المطلب، بقدر ما تهدف إلى خلق ضرة للغة العربية يضمن فيها للغة الفرنسية البقاء والهيمنة على الشأن العام، والتمكين لها كلغة جامعة. وهو ما يجعل من إمكانية تحقيق هذا المطلب متعسرا خاصة على المدى القريب وذلك لعوامل موضوعية يمكن إدراجها أهمها في الآتي:

❖ عدم إيمان أغلبية الجزائريين بهذا المطلب حتى في المناطق التي مازالت تستخدم اللهجات الأمازيغية في تواصلها، وحتى المتحمسون له، أغلبهم لا يتكلمون الأمازيغية ولا يدرسونها لأبنائهم. وإنما يستغلونها في الضغط على النظام اللا ديمقراطي من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

❖ عدد الاثنيات التي تنسب للأمازيغية (القبائلية، الشاوية، المزابية، الشلحية، الشنوية، التارقية...)، وكل إثنية لها لهجتها الخاصة لا يجمعها غيرها إلا مجموعة محدودة من المفردات، وهناك اختلاف حتى داخل الإثنية الواحدة،

¹ - Jules Liorel : *Kabylie du Jurjura*, Éditions Leroux, 1892

<https://histoirecoloniale.net/la-renaissance-du-mythe-kabyle.html> consul : le :10/6/2019

² - Amar Dib : kabyles démocrates contre musulmans fanatiques

ويستحيل إيجاد لغة معيارية جامعة. وقد عبر عن هذه الحقيقة رئيس الحكومة سيء الصيت (اويحي) الذي ينحدر من منطقة القبائل، عندما واجه أحد دعاة هذا المطلب في البرلمان بالحقيقة التي تقول بعدم إمكانية إيجاد لغة أمازيغية موحدة لكل الإثنيات. كما يؤكد ذلك أحد ألمع المختصين اللغويين (رشيد بن عيسى) وهو من منطقة القبائل الجزائرية، حيث يقول: "كنا في زيارة لأحد المعارض بالدار البيضاء المغربية، وكان في رفقتي أربع أشخاص يتكلمون لهجات بربرية مختلفة، وكان محدثنا في المعرض يتكلم اللهجة الشلحية، وبعد ربع ساعة من ذلك سألت أصحابي عن فحوى حديثه فلم أجد بينهم من فهم كلام المتحدث إلا بعض الكلمات ذات التداول الواسع".¹

❖ تغول لهجة خاصة بمنطقة معينة (منطقة القبائل) على بقية لهجات المناطق الأخرى، ومحاولة فرضها كلغة معيارية من قبل المحافظة السامية للأمازيغية، التي يسيطر عليها أعضاء أغلبهم من هذه الجهة.

❖ إنه وبالرغم وجود الحرف الأمازيغي ممثلاً في التيفيناغ (الحرف الذي تكتب به لغة الطوارق)؛ تم اعتماد الحرف اللاتيني للكتابة بها على حساب الحرف العربي المعمول به لدى الأغلبية المطلقة من الجزائريين، بدعوى عالمية الحرف اللاتيني مقارنة بالحرف العربي.

❖ الطريقة اللا ديمقراطية، والظروف الاستثنائية وغير العادية التي تمت بها معالجة هذا المطلب من قبل السلطات الرسمية، حيث تم فرضها فرضاً من قبل فئة استتصاليه نافذة، مدعومة من دوائر خارجية، تمكنت من إدخال الجزائر في مناخ من اللا استقرار والإرهاب والفوضى، وبناء قوة سياسية واقتصادية مكنتها من إملاء سياساتها وتفعيل استراتيجياتها في تسميم المناخ الثقافي للبلد، مستغلة مرض الرئيس وقتها، واستئثار العصابة المحيطة به وسيطرتها على دواليب صناعة القرار وإصدار الأوامر، وذلك في ظل ضعف النظام الحاكم وهشاشته وفساده.

❖ يجمع كل المختصين في اللسانيات على افتقار كل اللهجات الأمازيغية دون استثناء للمقومات اللغوية التي تسمح باعتماد إحداها كلغة معيارية جامعة، حيث أن كل لهجة تتكون من عدد محدود جداً من الكلمات، وتستعيز جل مفرداتها من اللغة العربية، وإلى حد ما من الفرنسية؛ ومن عديد العاميات الوطنية. وأن اللغة المفتركة في دهاليز الأكاديمية البربرية لا تفي بالغرض.

❖ أن التراث الأمازيغي الثري هو ملك لكل الجزائريين، والفشل في إدارته مرة أخرى قد يخرج عن مساره الحقيقي في إثراء الوعي الثقافي للمجتمع الجزائري، ويجوله إلى معول هدم؛ بفتح الجال واسعا لبقاء اللغة الفرنسية وديمومة سيطرتها على الفضاء الرسمي ولغة التعليم، وإحياء التيارات التي تنادي باعتماد العاميات المحلية باعتبارها اللغة الأم... وما سينتج عن ذلك من تشظي ثقافي يحد من التقدم العلمي والاقتصادي والثقافي وغيرها من الميادين الحيوية، وقد يأتي كل ذلك على سيادة البلد واستقراره ووحدته.

المطلب الثالث: التعدد اللهجي

إن تعدد اللهجات العامية في المجتمعات معطى سوسيو ثقافي لا سبيل لإنكاره؛ يتشكل في المجتمعات بفعل عوامل تاريخية واثربولوجية، وما يرتبط بها من انتشار للشعوب بفعل الاستعمار والهجرة وغيرها. يقول ابن خلدون

¹ - <https://facebook.com/watch/?ref=search&v=23964116341...cons.le> 19/3/2021

بشأن تتشكل اللهجات العربية بعد انتشار الإسلام في شتى بقاع الأرض: "هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة العربية للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها عن غيرهم. ثم فسدت هذه الملكة بمخالطتهم للأعاجم. وسبب فسادها أن الناشئ من الجبل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب؛ فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم... فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وتلك، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللسان العربي. ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية لبعدهم عن بلاد العجم من جميع الجهات".¹ إن تعدد اللهجات بات خطراً يهدد المشهد اللغوي، لدرجة أن عدداً معتبراً من المثقفين في عديد المجتمعات وخاصة من الأدباء وكتاب المسرحيات والقصص، وبدعوى الواقعية يدعون إلى استخدام اللهجات الخاصة؛ لأنه من غير المنطقي في نظرهم أن يتحدث الخفير والكناس والفلاح بلغة الأستاذ والطبيب... وقد أغرى هذا الطرح عديد المثقفين الذين يرغبون في أن يصل إنتاجهم إلى أكبر قطاع من قطاعات الأمة. ومن الملفت للنظر أن نجد المستشرقين والمستعمرين وعملائهم يؤيدونه ويشجعونه مغلفين أهدافهم الدنيئة بأغلفة خادعة، خاصة لغير المدركين لحقيقة اتجاهاتهم ونياتهم؛ حيث يرون أن اللغة الفصحى ليست لغة علم واختراع، وعاجزة عن الوفاء بحاجات الإنسان الجديدة. وأن الاتجاهات الحديثة تحتم ضرورة الانصراف عنها إلى اللهجات المحلية.² لقد اتخذت محاربة اللغة العربية الفصحى في هذا المجال أشكالاً متعددة، منها وصمها بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر والانفجار المعرفي، وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم... وأنها لغة معقدة وصعبة بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تفهم لتقرأ خلافاً لبقية اللغات. ومن هذه المبررات جاءت الدعوة إلى إحياء اللهجات العامية، وتشجيع البحوث التي تخدمها، وتقديم الدعم المادي لها. لقد ساهم الفرنسيون في ذلك مساهمة فعالة حيث ألفوا كتباً في نحو الدارجة ومعجمها ودعوا إليها جهاراً؛ ومن أمثالهم أرمان كوسن دي برسفال (1795-1871)، وهو صاحب كتاب صرف ونحو في اللغة العامية، ومارسولين بوسيه صاحب (المعجم العلمي العربي الفرنسي)، الذي جمع فيه التعابير اللغوية المستعملة في لهجات شمال إفريقيا وسميل صاحب كتاب (لغة مراكش العامية وقواعدها)، ولويس ميرسيي صاحب كتاب (عربية مراكش)... وكان المهندس الإنجليزي (وليم ويلكوكس) أحد المنظرين لهذه الدعوة إذ ألقى في عام 1893 محاضرة بنادي الأزيكية، ذكر فيها أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى، ولو أنهم كتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد وتنمية

¹ . شاذلي الفيتوري: الأسس النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية للغة العربية ودورها في دعم الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع: 59، جانفي 1984، ص: 69

² . محمد حسين أبو نار: عالمية اللغة ومشكلة اللهجات، مجلة الثقافة العربية، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طبرق، ليبيا، ع 11، نوفمبر 1977، ص: 50

ملكة الابتكار لديهم.¹ حتى أن بعض الجامعات الأمريكية قامت بإلغاء تدريس اللغة العربية والاستعاضة عنها باللهجات العربية مثل: الشامية، المصرية، المغربية، العراقية... كما أن فرنسا عملت على استبعاد العربية من امتحان الشهادة الثانوية، حيث كان يسمح للطلاب سابقا باختيار لغة ثانية في التعليم كاللغة الانجليزية والألمانية والإسبانية أو العربية. وابتداء من عام 1995 لم تعد العربية من بين هذه اللغات؛ واستعوض عنها بعدد من اللهجات العربية، وبعض لغات الأقليات؛ وتقديم الدعم للقائمين بها تحت شعار حقوق الإنسان. وقد ضغطت الدول الكبرى على منظمة اليونسكو بخصوص حقوق التنوع اللغوي، مما جعل هذه المنظمة تعتمد هذه المسألة من خلال تبنيها للحقوق الثلاث:

أ - الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم أي اللهجات العامية العديدة والمختلفة.

ب - الحق في لغة التواصل التي يفهمها كل أفراد المجتمع كاللهجات العربية الدارجة.

ج - الحق في لغة المعرفة العالمية كاللغة الانجليزية مثلا.²

كما تنطلق الدعوة إلى العامية من فكرة أن اللغة فيها مستويان أحدهما للكتابة، والآخر للخطاب الشفوي في الشؤون اليومية. أي أن هناك لغة دارجة محكية تستخدم في الأغراض والظروف المعاشية العادية، ولغة مصطنعة ومنمقة ورفيعة وعلمية تستخدم في المناسبات الرسمية، الثقافية والأدبية والمحافل الفكرية والدوائر العلمية والإدارية. وهو الوضع اللغوي المائل في أغلب الدول العربية من بينها الجزائر... كما يثير علماء النفس والتربية هذه القضية (صلة العامية بالفصحى) من منطلق اللغة الأم، وما تلعبه من دور في نمو الطفل الذهني والدراسي؛ والبون الواسع القائم بين اللغة الفصيحة التي يدرب عليها الطفل في المدرسة، ولغة الأم التي يتلقاها في البيت خاصة في الحالة العربية عموماً؛ حيث يتمسك أولئك المسكونون بداء النستولوجيا (التوق غير المتوازن للماضي أو إلى وضع يتعذر استرداده)، المؤمنون بالنقاء اللغوي، والتمسك بشروط الفصاحة القديمة وإغفالها لما أحدثته اللسانيات من انقلاب جذري في الدرس اللغوي، ورفضها مجرد النظر إلى العاميات باعتبارها مرضاً يجب الشفاء والتخلص منه.³ إن الجزائر وبفعل امتدادها الجغرافي وموقعها، تعرضت لعبور عديد الأجناس والحضارات (الفينيقية، الرومانية البيزنطية،

¹ رشيد بلحبيب: الهويات اللغوية بالمغرب من التعايش إلى التصادم، مؤلف جماعي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، يناير 2013، ص: 262. 273.

² محمود السيد: التمكين للغة العربية، أفاق وحلول، مجلة بناء الأجيال، مرجع سابق، ص: 35.

³ وليد محمد خلاص: اللغة العربية والعولمة، المؤتمر الدولي الأول حول مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مسقط، عمان، 2007/12/4، ص: 79 - 82.

الوندالية، الإسلامية الإسبانية التركية، الفرنسية...)؛ تركت آثارها في المشهد الهوياتي العام للجزائريين، وخلقت من المشهد اللغوي في البلاد هجين غير متجانس من اللهجات، فوضوي وغير مهيكّل؛ وكل منها تحتل فضاء جغرافيا أو اجتماعيا بصرف النظر عن ثقله السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وما يميز هذه اللهجات أنّها وبفعل موجات التعريب التي تعرضت لها بفعل الهجرات المختلفة للعرب والمسلمين، عاشت وتعايش مع اللغة العربية، تستمد منها أغلب ألفاظها ومفرداتها. وبالتالي أصبحت هذه اللغة لغة التفاهم الجامعة للجزائريين على اختلاف مواقعهم الجغرافية. ومع ذلك هناك من المتطاولين من يعتبرها مجرد لغة لا تصلح إلا لنسج الأشعار وعرض الروايات، أو لغة أيديولوجية لا تصلح إلا لأداء الطقوس الكهنوتية بسبب ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي الحنيف.

المطلب الرابع: العولمة وتعدد اللغة الانجليزية

ظهر هذا البعد مع بزوغ بشائر العولمة وهويتها الكونية، التي تحاول أن تجب ما قبلها من هويات محلية موصولة بالماضي. وباتت تنعت هذه الهويات باعتبارها ذكريات طليّة غابرة تقبع خارج التاريخ النيو ليبرالي المظفر بنهايته السعيدة وسردياته الغامرة المدججة بتقانات العصر الاليكتروني (الحواسيب، الهواتف النقالة، اللوحات الاليكترونية...)، وثورته الجديدة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال (الانترنت وما يرتبط بها من شبكات ومواقع تواصل)، وما رافقها من تغير غير مسبوق في تدفق الصور والإشارات، والنصوص السمعية البصرية؛ التي باتت تختصر الأزمنة والأمكنة بتدفقها المتصل واختراقها السافر لعوالم الشعوب الثقافية؛ وبالتالي قمعها وإقصائها وسلبها خصوصيتها؛ ثم نفيها من عالمها على حد تعبير (عابد الجابري).¹ واللغة الانجليزية في زمن العولمة أصبحت الأداة الفعالة لإنتاج المعارف والعلوم وتخزينها وتوزيعها ونشرها؛ والأكثر تأهيلا للتعامل مع الثورة الاليكترونية ومتطلبات مجتمع المعلومات. كما تستمد قيمتها من هيمنتها على النشاط الاقتصادي العالمي الذي تسيطر عليه الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات التي تتحكم في شريان الاقتصاد العالمي. وهي مؤسسات عابرة للقارات ذات نفوذ مترامي الأطراف، تقدم خدماتها باللغة الانجليزية وتفرضها على متعاملينها وتشرط لولوجها إتقان الانجليزية قراءة وكتابة وتحديثا. وبالتالي أصبح لها حضورا لا تحظى به غيرها من اللغات. وأضحى التسابق لتعلمها وإتقانها، والتمكن من ناصيتها للحصول على منصب عمل محترم، أو التمكن من وظيفة مرموقة في إحدى فروع هذه الشركات العالمية جليا. وهو ما أدى إلى تراجع الجامعات العربية عن تقديم مادتها العلمية خاصة في التخصصات الوظيفية التقنية باللغة العربية لعدم إقبال الطلبة عليها، نتيجة لعدم وجود حوافز ومغريات لدراستها. يقول (نهاد الموسى) في هذا المجال: "عندما تتقدم الانجليزية نتيجة للوعود التي تحملها؛ فإن ذلك يشكل تهديدا للغة العربية... وأن تحكم القيم

¹. بلالي عبد المالك: محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة سطيف، 2016، ص: 57.

الاقتصادية في فرض الواقع اللغوي أدى إلى التقليل من شأن العربية، وفقدان هيبتها ووقارها في حين تتقدم الانجليزية بثقة مطلقة.¹ فاللغة الانجليزية وبالرغم من الإرث التاريخي لها في المستعمرات المختلفة، وكما يقول جوشوا فيشمان (joshua fiscman) انتشرت في العالم لأنها لغة محايدة نسبيا إيديولوجيا وثقافيا؛ على الرغم من الهيمنة السياسية والاقتصادية الأمريكية، لأنها ليست لغة استعمار بالمنطق الأمريكي. أما روبرت فيليبسون (robert philipson)، فذهب في مؤلفه الشهير الامبريالية اللغوية (imperialism linguistic) إلى أن ذلك الانتشار قادته عن دراسة وتفكير الدول الكبرى المستعملة للغة الانجليزية، لا سيما بريطانيا والولايات المتحدة؛ وذلك عن طريق التعاون الدولي والمساعدات المقدمة في مجال تدريس الانجليزية... وهذا ما يلمس في قول أحد الموظفين الساميين في إدارة الرئيس الأمريكي السابق (كلينتون) وهو ديفيد روتكوبت (david rothkopt): "إنه لمن مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصاديا وسياسيا أن تسهر على مسألة تبني العالم للغة واحدة ولتكن الانجليزية"، ويستطرد: "وإذا تم تبني قيم ومعايير موحدة في مجال الاتصال والأمن وغيره فلتكن تلك المعايير أمريكية"... كما يؤكد بيرنار كاسان (bernard cassan) على أن الهيمنة الامبريالية الأمريكية لا تركز فقط على العوامل المادية (الاقتصاد والقوة العسكرية...). إنها تتضمن أيضا وعلى وجه الخصوص التحكم بالعقول، أي بالمرجعيات والرموز الثقافية، ولا سيما العلامات اللغوية ممثلة في اللغة الانجليزية.² لذلك فإن ما يجري اليوم من محاولة اتخاذ الانجليزية كلغة للعلم والعمل في عديد دول العالم لا يعزى فقط للعوامل السابقة بل هناك عوامل أخرى جعلت الهيمنة اللغوية لصالح دولة عالمية دون أخرى، ومنها النظام التداولي اللغوي المتبع من قبل المنظمات الدولية؛ وعلى سبيل المثال منظمة اليونسكو التي تعتمد اللغة الانجليزية في جميع البرامج والمؤتمرات والأدبيات والبروتوكولات الرسمية... ولعل العامل الأبرز الذي فرض أحادية التداول اللغوي يعود إلى الشبكة العالمية للمعلومات التي اتخذت من الانجليزية أساسا لمختلف برامجها الاتصالية.³ كما يعزى الاتجاه إلى تمكين اللغة الانجليزية في الجزائر واستبعاد اللغة الفرنسية من الفضاء التداولي والرسمي والأكاديمي إلى اعتبارات موضوعية أخرى يمكن إيجاز أهمها في:

١ - الانحسار الكبير الذي تعرفه اللغة الفرنسية، وتراجعها المريع في الدوائر الأكاديمية العالمية؛ لدرجة أصبح حتى الفرنسيون ينشرون أبحاثهم باللغة الانجليزية.

¹ . نجاد الموسى: اللغة العربية في العصر الحديث (قيم الثبوت وقوى التحول)، دار الشروق للتوزيع والنشر، ط1، عمان، الأردن 2007، ص: 125

² . شمامة خير الدين: إشكالية اللغة العربية في الجزائر بين مخلفات الاستعمار وضغط العولمة، مرجع سابق، ص: 124، 125

³ . محمود الذواوي: علاقة اللغة بإنشاء الفكر وتخليده، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويتية، ع: 632، جويلية، 2011، ص: 24

ب - موجة العداة للغة الفرنسية الناجم عن الماضي الاستعماري لفرنسا ودورها في المسخ أو الإبادة الثقافية التي تعرض له المشهد الثقافي الجزائري...بالإضافة إلى المؤامرات التي تحاك من قبل اللوبي الفرنكفوني العالمي وملحقاته في الجزائر من أجل استبعاد اللغة العربية من التعليم و دوائر صنع القرار والمحافظة على اللغة الفرنسية باعتبارها اللغة الرسمية الفعلية من خلال الدعم الكبير الذي يقدمه لأنصار المشروع الأمازيغي لفرض اللغة الأمازيغية كند للغة العربية رغم افتقارها لأبسط قواعد اللغة... وبالتالي اعتماد اللغة الفرنسية كلغة جامعة ذات سيادة عليهما.

ج - أن إخراج الجزائر من الهيمنة الفرنسية والانفتاح على العالم في جميع المجالات، يقتضي اعتماد اللغة الأنجليزية كلغة ثانية أو حتى أولى في مجال التعليم خاصة التقني منه .

د - أن الثقافة الانجلوساكسونية وقاطرتها اللغوية، لا تناصب العداة للغة العربية كما تناصبه لها الفرنكوفونية وأذرعها من اللهجات.

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول أن السياسة اللغوية في الجزائر تعيش مخاضا عسيرا، بفعل السجلات الفكرية والتجاذبات والتطاحنات الهوياتية التي أفرزها التطور التاريخي للمجتمع الجزائري بين دعاة الفرنكفونية العالمية والأمزغة والتلهيج في ارتباطهم بالفكر الكولونيالي الفرنسي وقوى الاستلاب المحلي (العلمانيين والشيوعيين) والتطرف الإثني (الظهير البربري)، وبين دعاة التعريب في ارتباطهم بقوى دينية وقومية (حركات إسلامية وعروبية). ويتجلى هذا المخاض خاصة في الازدواجية اللا متكافئة ممثلة في استئثار لغة المستعمر (اللغة الفرنسية) بالسيطرة على الفضاء الرسمي، ووظائف الصف الأول (الإدارة، التعليم العالي، الاقتصاد...) بفعل تغلغل اللوبي الفرنكوفيلي في أجهزة ومؤسسات الدولة، مقابل إنكفاء اللغة العربية على الوظائف الثانوية رغم فصل نظام الحكم لصالحها منذ الاستقلال، والالتفاف الإيديولوجي حولها كبعد وطني لا مجال للتراجع عنه. ومازالت المناورات والجهود تبذل من أجل إدانة هذه الهيمنة بإقحام اللهجة الأمازيغية عنوة كضرة للغة العربية، والاعتراف بها كلغة رسمية رغم أنها لغة افتراضية يصعب جمع شتات نظائرها وتوحيد لهجاتها المتعددة في منظومة لغوية تستجيب لأدنى مقومات ومعايير اللغة. وبموازاة ذلك، ومن أجل التقليل من شأن اللغة العربية الفصيحة ظهرت الدعوات إلى اعتماد العاميات المحلية في التدريس في المستويات الأساسية باعتبارها اللغة الأم. كما برز في هذا الاتجاه فصيل عولمي يرى في اللغة الأنجليزية خيارا لا سبيل لتلافيه إذا ما أريد لبلدنا أن يساير التطورات في المجالات الفكرية والعلمية والتقنية والدخول بقوة في العولمة المتنامية للاقتصاد والاجتماع... الخ. ولتفادي هذا التشطي في الصف الوطني الذي قد يأتي على الوحدة الوطنية والسلم الأهلي؛ يجب إيلاء هذا الموضوع الأهمية التي يستحقها، والنظر لواقعنا اللغوي نظرة تشخيصية ثاقبة،

والنأي به عن الشعبوية وضلالات الايدولوجيا والسياسة والانتماءات العرقية، والاعتبارات العلمية والمنهجية غير المنضبطة التي لا تصمد عند إخضاعها للمنطق العلمي السليم، والركون إلى مسألة ارتباط اللغة العربية بالوحي الإلهي المحفوظ. إن انتماء الشعب الجزائري للثقافة العربية سواء بالعرق أو بالتاريخ حقيقة لا مرأى فيه، والمجتمع المتجانس من حقه، بل من واجبه الانصهار والدوبان في لغة واحدة لها حق السيادة؛ وتملك مقومات تحقيق الوئام في النسيج الوطني. واللغة العربية هي الحصن الحصين والدعامة الأساسية من دعائم الكيان الثقافي للمجتمع الجزائري، ومستودع حياته الفكرية والعقائدية، وبعدا استراتيجيا يتخذ من وحدة المصير العربي فضاء وعمقا استراتيجيا له. إلا أنه يجب الاعتراف بأن الخريطة اللغوية للبلاد تكشف عن فشل واضح وفاضح للسياسات اللغوية المتتالية، التي عبثت بها المزايدات السياسية والإيديولوجية والعرقية. وحتى يمكن تفادي هذا الواقع المعقد والمخيف يجب إعادة الاعتبار للغة العربية في المجالات المختلفة باعتبارها لغة مجموع الشعب الجزائري، وذلك باستغلال جميع الموارد والإمكانات التي تتحقق بمقتضاها الاستراتيجيات الكفيلة بالحفاظ على هذه اللغة وترقيتها، وكفالة تحقيق وظيفتها التواصلية والحضارية وذلك عن طريق:

أ - الاعتراف الرسمي الفعلي بها كثابت من ثوابت المجتمع وتعميم العمل بها وتمييزها عن غيرها من اللغات؛ ودعمها بالتشريعات والنصوص القانونية التي تحرم الإساءة لها أو سوء استخدامها.

ب - ربطها بالوعاء الثقافي الثري للمجتمع الجزائري بمختلف عناصره الاثنية والعقائدية واللهجية.

ج - إغنائها بالمفردات والمصطلحات العلمية عن طريق الترجمة ومستجدات المجاميع اللغوية...

د - تشجيع حركتي البحث والتأليف بها، والترجمة من وإليها سواء في المجالات الأدبية أو العلمية.

هـ - التنسيق مع مختلف المؤسسات والمجامع اللغوية في الدول العربية.

و - الانفتاح على اللغات الأجنبية بما يخدم تراثنا الثقافي وتطورنا العلمي والمعرفي، وبما يستجيب لإملاءات العولمة بطريقة متكافئة.

ز - استنفار طاقات المتخصصين في العلوم الاجتماعية ذات العلاقة، والباحثين في اللغويات من أجل ضبط مناهج بيداغوجية ملائمة تتجاوز الطرق الكلاسيكية المعتمدة في التدريس بهذه اللغة.

ح - نشر الوعي الشعبي بأهمية المحافظة على اللغة العربية وترقيتها باعتبارها حاملة لتراثه، وجامعة لهجيته اللغوي بعامياته ولهجاته.

• المراجع باللغة الأصلية:

الكتب:

1. حسين جمعة: في جماليات الكلمة، (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002)
2. كلود لوفيس ستروس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، (دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1977)
3. مصلح الصالح: الشامل، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية (انجليزي عربي)، (الرياض، دار عالم الكتب، الرياض، ط1، 1999)
4. نخبة من أساتذة قسم الاجتماع: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د. س. ن.)
5. فواز الراشد العبد الحق، عبد الرحمن حسني أحمد أبو ملح: التصورات الشعبية والوعي اللغوي نحو العربية، (المملكة العربية السعودية، منشورات مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية، 2017)
6. نهاد الموسى: اللغة العربية في العصر الحديث، قيم الثبوت وقوى التحول، (عمان، الأردن، دار الشروق للتوزيع والنشر، ط1، 2007)
7. علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، (الرياض، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط4، 1983)
8. عبد القادر الفاسي الفهري: لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد (نموذج تماسكي، تعددي، تنوعي)، (الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، يناير 2013)
9. عبد الحفيظ شريف: موقع المسألة اللغوية في جهود جمعية العلماء المسلمين، مقارنة اجتماعية، (الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018)
10. رالف فاسولد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع، ترجمة إبراهيم بن صالح بن محمد، (الرياض، النشر العلمي والطابع، جامعة الملك سعود، 2000)
11. ربما سعد الجرف: دور الجامعات في عملية التعريب، ندوة اللغات في عصر العولمة، رؤية مستقبلية، (المملكة العربية السعودية، منشورات جامعة الملك خالد 2005)
12. رشيد بلحبيب: الهويات اللغوية بالمغرب من التعايش إلى التصادم، مؤلف جماعي، (الدوحة، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، يناير 2013)

- 13 . شمامة خير الدين: إشكالية اللغة العربية في الجزائر بين مخلفات الاستعمار وضغط العولمة، مؤلف جماعي بعنوان : اللغة والهوية في الوطن العربي، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، يناير، 2013)
- 14 . وليد محمد خلاص: اللغة العربية والعولمة، كتاب المؤتمر الدولي الأول حول مجتمع المعرفة، التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، (عمان، جامعة مسقط، منشورات كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، 2007)

المقالات:

- 15 . أحلام خليل محمد خليل: محاضرات في التعريب، مجلة جامعة تكريت، العراق، مج:19، ع:9، أيلول، 2012
- 16 . أحمد سعيد هواش: اللغة العربية الفصحى، بين روادها وأنصارها وأعدائها، مجلة بناء الأجيال، عدد خاص عن اللغة العربية (لسان الضاد يجمعنا)، نقابة المعلمين السورية، دمشق، 2008
- 17 . جون جوزيف: اللغة والهوية، ترجمة عبد النور خراقي، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع:342، أغسطس، 2007
- 18 . محمد حسين أبو نار: عالمية اللغة ومشكلة اللهجات، مجلة الثقافة العربية، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طبرق، ليبيا، ع: 11، نوفمبر، 1977
- 19 . ياسين خليل: اللغة والوجود القومي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع:59، جانفي، 1984
- 20 . ميسون جهاد إدريس: التصنيفات القديمة والمعاصرة للأصوات اللغوية، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، ع:47، ديسمبر 2014
- 21 . محمود السيد: التمكين للغة العربية، آفاق وحلول، مجلة بناء الأجيال، عدد خاص عن اللغة العربية (لسان الضاد يجمعنا)، نقابة المعلمين السورية، دمشق، 2008
- 22 . محمد حسين هيجل: اللغة العربية بين دورها التاريخي وتكريمها الديني، مجلة بناء الأجيال، عدد خاص عن اللغة العربية (لسان الضاد يجمعنا)، نقابة المعلمين السورية، دمشق، 2008
- 23 . ممدوح محمد خسارة: الاستثمار في اللغة العربية، ميادينه وعوائده، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، سوريا، ع:51، ديسمبر، 2016

- 24 . مصطفى عطية جمعة: اللغة العربية وإشكالات الهوية، مجلة الوعي الإسلامي وزارة الأوقاف، الكويت، ع:639، يوليو 2018
- 25 . منى طواهرية: اللغة والهوية الوطنية على محك الارث الاستعماري، مجلة البدر، جامعة بشار، ع:10، 2018
- 26 . محمود الذواودي: علاقة اللغة بإنشاء الفكر وتحليله، مجلة العربي، وزارة الاعلام الكويتية، ع:632، جويلية، 2011
- 27 . محمد حسين أبو نار: عالمية اللغة ومشكلة اللهجات، مجلة الثقافة العربية، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طبرق، ليبيا، ع:11، نوفمبر 1977
- 28 . عبد السلام المسدي: من أسرار السياسة واللغة، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويتية، ع:56، جمادى الأولى 2005
- 29 . نذير العظمة: خريطة اللغة، مجلة بناء الأجيال، عدد خاص عن اللغة العربية (لسان الضاد يجمعنا)، نقابة المعلمين السورية، دمشق، 2008
- 30 . علي القاسمي: السياسة اللغوية وتنمية اللغة العربية، مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، ع:48، دمشق، سوريا، يونيو 2005
- 31 . شاذلي الفيتوري: الأسس النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية للغة العربية ودورها في دعم الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ع:59، جانفي 1984
- المدخلات:
- 32 . بلالي عبد المالك: محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع الثقافي، قسم علم الاجتماع، جامعة سطيف، 2016
- 33 . عبد الحفيظ شريف: موقع المسألة اللغوية في جهود جمعية العلماء المسلمين، مقاربة اجتماعية، اليوم الدراسي، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2018
- 34 . وليد محمد خلاص: اللغة العربية والعولمة ، المؤتمر الدولي الأول حول مجتمع المعرفة : التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مسقط، عمان، 2007/12/4.2

المواقع الالكترونية:

35. اليونيسكو تحتفل باليوم العالمي للغة العربية

<https://undocs.org/ar/a/res/3190...> Consul. le: 17/05/2020

1.1.1 36 – Amar dib: kabyles démocrates contre musulmans fanatiques

[http:// https://histoirecoloniale.net/la-renaissance-du-mythe-kabyle.html](http://https://histoirecoloniale.net/la-renaissance-du-mythe-kabyle.html) cosul. le 10/6/2019

37 – Jules Liorel: *Kabylie du Jurjura*, Éditions Leroux, 189237

[http:// https://histoirecoloniale.net/la-renaissance-du-mythe-kabyle.html](http://https://histoirecoloniale.net/la-renaissance-du-mythe-kabyle.html) consul. le 10/6/2019